

# الموارنة طارئون فمن تبعي أصيلاً؟

الخوري ميشال بريدي - دكتور حقوق لاهوت

١١ جهة ن كان مزدوج اللغة حسب  
 مراحل تاريخه \*

٢ - وعليه يخطئه ويغش نفسه  
 وسواه كل من يكتب عن تاريخ الشعب  
 اللبناني وعن الامة المعروفة عرضاً  
 بالمارونية ، مرتكزاً فقط على مراجع  
 عربية الاصل او عربية اللغة وحسب،  
 ما لم تكن تلك المراجع قد محصت  
 سابقاً كل المصادر المختلفة للغات  
 والتي شهدت ( او سجلت ) عن  
 احداث حقبات ومراحل التاريخ  
 اللبناني حسب شهود التاريخ  
 اللبناني المختلف الاجناس والمتعددي  
 اللغات \*

الا ان الدكتور النقاش يتعاضى  
 مواضع التاريخ القديم للشعب  
 اللبناني انطلاقاً من مؤلفات موجزة  
 محصورة في ما قرأه لكتبة التاريخ  
 باللغة العربية مع استيحاء مصادر  
 اجنبية او دون استيحاءها مع ان  
 المصادر الادبية والتاريخية لنحقة  
 التي يجادل حولها هي على اكثريتها  
 في لغات قد لا يفهمها حضرته وانه  
 لم يخطر بباله ان يستأنس بها وهي  
 المصادر اليونانية والسريانية \*

لكن الاكيد انه لم يسمع قط لا هو  
 ولا الذين نقل عنهم معلوماته ، عن  
 رسائل يوحنا الانطاكي المعروف بلقب  
 «فم الذهب» وهذه الرسائل محفوظة  
 في اصلها اليوناني وفي ترجمتها  
 اللاتينية منشورة في مجموعة الاباء  
 اليونانيين ( ١ )

وهي تحوي اسناداً تلقن الحجر  
 لكل معاند ، وثبت ان فينيقيا الجبل  
 كانت اواخر القرن السابع مرتبطة  
 بفينيقيا الساحل وبيفنيقيا السهول  
 الداخلية والمرتفعات الشرقية . اي  
 اقاميا واللاذقية وبانياس وحمص  
 وغيرها حتى بيروت وصور وصيدا  
 الخ ...

وان المدن التي كان ينقطع ذكرها

في صميم التاريخ ما لا يستطيع مؤرخ  
 محدود المصادر ان يخوض فيها  
 تحت طائلة الوقوع في جهل اكبر  
 مما يريد ان يمنع ، ومن الامور ما  
 مكن لاي حامل شهادة ابتدائية ان  
 يدون تاريخها مستنتجاً من ثم  
 ما يخوله اياه كل عقل صائب وسليم،  
 لكننا تاريخ الشعوب المتعددة في  
 الشرق الاوسط ليس بالامر السهل  
 كما هي الحال في تاريخ بعض الشعوب  
 التي لم يطرأ عليها تقلبات عنصرية  
 وفتوحات مهلكة لاثارها الكتابية  
 والادبية والفنية ، مع فيضانات  
 بشرية متتالية على مدى العصور .  
 لذلك قد لا يخلو من الفائدة تذكير  
 الدكتور زكي النقاش بأن جغرافية  
 منطقة « الهلال الخصيب » كانت  
 قديماً تختلف عما هي عليه اليوم  
 في العصور المتأخرة ، وانها كانت  
 قبل الفتح الاسلامي غير ما أصبحت  
 عليه بعد الفتح . وكذلك بلاد  
 فونيقيا ما كانت محصورة ( قسلاً  
 الفتح الاسلامي ) بساحل لبنان  
 الحاضر او بجباله ، بل كانت تتعدى  
 ذلك حتى قرنة اللاذقية في سوريا  
 ساحلاً ( حيث اورغيت او  
 راسشمرا ٠٠ ) وحتى مرتفعات  
 العاصي في الداخل \*

( ولا يهمني هنا تعيين المراحل  
 التاريخية لهذا الامتداد قبل الفتح  
 المشار اليه ) . وان الشعب الذي  
 سكن تلك البلاد كان ارامياً من جهة  
 وكنعانياً من جهة اخرى وفي كلتي

ظهر في ملحق النهار عدد ٩٤٤٦  
 تاريخ ١٨ ايلول سنة ١٩٦٦ مقال  
 لحضرة الدكتور زكي النقاش يغربل  
 في تاريخ لبنان الحديث لحضرة  
 الدكتور كمال صليبي فكانت حصيلة  
 الغرلة ان جعل من الموارنة طارئین  
 لاجئين الى لبنان مما حدا بحضرة  
 الفاضل الخوري ميشال بريدي دكتور  
 في الحقوق واللاهوت ان يرد على  
 النقاش \*

١ - ليس كل من قال عن نفسه  
 او قيل فيه انه استاذ تاريخ او كاتب  
 تاريخ ، فهو مؤرخ او عالم في  
 التاريخ يصح الركون الى استنتاجاته  
 ويجدر تصديقه لذلك لا ادافع عن  
 الدكتور كمال صليبي ( وقد سبق لي  
 ان سجلت عليه نقصاً في التدقيق  
 متواتراً مع مغالطات من نوع عدم  
 التعرف للمسائل من كل نواحيها  
 او جهل قسط من عناصرها ) كما  
 لا اقبل بان يعتبر كل من الدكتور  
 فيليب حتي وعادل اسماعيل واسد  
 رستم والاب لامنس السخ ٠٠٠ لا  
 كمصادر اولية ولا كمراجع مباشرة  
 يصلح اعتمادها للانطلاق في جدل  
 علمي ، اذ ليس كلهم سوى مدبجين  
 نشيطين توفرت لهم اسباب الدروس  
 والمطالعة ولم تتوفر لديهم ( - الى  
 ان يثبت العكس عن كل مقطع من  
 منشوراتهم بغيره - ) الحكمة  
 والصواب والعلم اليقين الموثوق بكل  
 عباراته وبكل جملة وبكل مقاطعه .  
 ٢ - من الامور والاحداث الداخلية

بعد تروسه على بطريركية بيزنطية اي من بلاد ارمينية وجهات القوقاز . ولا يعقل ان يثابر فم الذهب متغيرا على نجاح « الرسالسة الفينيقية » بالرغم من وجوده في المنفى ( مثلا بين سنة ٤٠٣ - ٤٠٧ الخ ) لو لم يكن سبق له وقام بتنظيمها او برعايتها بنفسه ايام تنسكه ( ٢٧٠ - ٢٨٦ ) كهنوته ( ٢٨٦ ) واسقفيته ( ٢٩٨ ) وهو المولود في مدينة الله انطاكية التي كانت تشمل ولايتها ( المسيحية ) كل مناطق الشرق الاوسط المعروفة اليوم .

٦ - اذا كان رهبان و نساك و تباع مارون و الناسك و الرسول قد بشروا ابناء الجبل اللبناني و ساحله الشرقي بالدين الذي يتبعونه هم ٠٠ - و ما كانوا يتبعون الا دين المسيح المعروف رسميا في منطقة سوريا الانطاكية - فأي عجب ان يكون « الموارنة » سكان الجبل العالي هم السكان الاصليون في لبنان ، و الذين استضافوا اخوانهم ابناء السهل الشرقي و الساحل عند اشتداد المحن عليهم . منع الفارق البسيط و هو ان لفظ « موارنة » ما تسمى بها كلا الفريقين الا من قبل اعدائهم على سبيل التحقير و الاستنكار فاصبحت بمرور الزمن تسمية لهم يفخرون بها . و عليه لا يصدق الدكتور زكسي النقاش في قوله « الموارنة لاجئون ٠٠ » ولا يصدق اهل العلم المحض بنفس السهولة التي صدق بها نفسه و صدق الكتبة ( المغرورين و الناقصة معلوماتهم ) الذين قرأ عليهم او نقل عنهم .

واني لاسف جدا الا تترك اباحية الحياة المادية و الشهوانية التي تسيطر على بلادنا ، المجال الكافي امام اهل العلم الصادق و الصالح

والى نقولاوس الكاهن مثنيا على غيرته و تضحياته في سبيل الرسالة الفينيقية و راجيا اطلاعه على تفاصيل كل جديد فيها ( ٣ )

٠ - و الى سمعان و ماري الكاهنين المنتسكين في بلاد اقاميا طالبا اليهما التكفير عن كثرة الشرور التي تجتاح العالم ثم يخبرهما عن اعمال الكاهن يوحنا الذي ترك بيته و انتقل للرسالة في فينيقيا ، فيرجوهما من ثم ان يؤديا المعونة الممكنة لهذِهِ البادرة المثلى التي ملأت نفسه حبورا بالرغم من وجوده في المنفى ، ولذا يدعوهما ليستقزوا رسلا اخرين يساعدون الكاهن يوحنا في عمله الرسولي ( ٤ )

٠ - و الى جميع الرهبان و الكهنة العاملين على تثقيف سكان فينيقية الوثنيين في اصول الديانة المسيحية حيث يحذرهم الا يتركوا السفينة التي تصيرها الامواج الصاخبة كما لا يترك الطبيب مريضا لانه عضال . ثم يأمرهم بصراحة قائلا : « لا تتركوا فينيقيا حتى ولو اعترضتكم ستماية صعوبة لانكم سوف تكسرون كل الصعوبات ٠٠٠ » ( ٥ )

فهذه الرسائل مع تلك التي كتبها الى القديس مارون في اخر حياته متوسلا منه رضاء و طالبا دعاه كمن يطلب من اب و قور على ابن و دود ( ٦ ) كلها تثبت ان « الرسالة الفينيقية » قامت على اكتاف النساك الذين تربوا على طريقة مارون مع الكهنة الغيورين الذين هبوا يلبون النداءات التي كان يرسلها فم الذهب لمعاوضة النساك في هذه الرسالة ، وذلك ليس فقط اثناء رسالة فم الذهب في انطاكية ( وهي المرحلة التي لا بد من افتراضها ) بل و من ابعد بلاد نقي اثينا فم الذهب

في مرحلة ما من تاريخ هذا الشعب كانت تلك التي يصيبها زلزال او كارثة و يهدمها الفاتح هدا تماما فلا يبقى لمن سبق و سكن فيها اي مصلحة للعودة اليها مجددا .

٤ - ان الرهابين و الكهنة و المرسلين من شعب فينيقية السهل من تباع الذهب المسيحي على طريقة انطاكية ، كانوا و ما زالوا طيلة قرون متتالية يعملون لاجل تنصير ابناء جلدتهم و مواطنهم المعاصرين لهم و الساكنين في سائر المقاطعات من فينيقيا الساحلية و الجبلية .

و اكبر دليل على ذلك ما ورد في رسائل فم الذهب المشار اليها عن عمل البشارة التي قام بها كهنة - عديدون و رهابين او نساك كانوا يخاطرون بحياتهم معرضينها لنقمة الوثنيين و مدبريهم ، فينقلون الي الجبال اللبنانية ليهدوا اهلها متكلمين معهم بلغتهم المشتركة بين الرسول و المرسل اليهم .

وهذه « الرسالة المسيحية » في جبال لبنان و قرآه المنتشرة في الوديان و على القمم لم تنقطع على وجه الضبط منذ القرن الرابع للمسيح من قبل نساك و كهنة من المنطقة الفينيقية و الارامية التي عاش فيها القديس مارون - النساك اولا ثم الرسول ثم النساك اخرا - ( ومن الجديهي ان يعرف كل استاذ للتاريخ اقله اين هي هذه المنطقة المعنية التي عاش فيها مارون و ابناء جلدته ) .

٥ - و من رسائل فم الذهب نخص بالذكر تلك التي وجهها :

٠ الى جيرونتيوس الكاهن طالبا اليه ان يخبره عن اعمال رسالته في فينيقيا « حيث لا يجب ان تتركوا زرعكم يذهب عبثا و دون ثمرة ٠٠ »

لكي يدرسوا اولاً الدرس الواقي ثم ينشروا ويعلموا بزهارة العلماء واتضاعهم ما قد يوفر لديهم من معلومات تاريخية كاملة تفيد جميع المواطنين وتملأ العقل بصوابيتها وسكينة لهجتها المسالمة والحجبة للسلام المملؤ قهما لا جهلا فاضحا وغشا مفسدا . .

٧ - اما ما تعرض له الدكتور زكي النقاش ممن ان القسيسين والاكليروس استفادوا من الفرصة المؤاتية ( في القرن التاسع عشر ) ليحققوا احلامهم القديمة في وضع يدم على حكومة الجبل - مع سائر المصادر التي يرددها - فهذه اقوال اترك لغيري من ذوي الشأن مبادرة الرد عليها انصافا للحقيقة ومرعاة للتجرد العلمي والموضوعية التاريخية التي ينادي بها الدكتور النقاش نفسه .

الا انه لا يسعني الا ان اذكر حضرته - وسائر الذين يقرأون مصادره ، بضرورة الاخذ بمبدأ من خارج العلم التاريخي المعروف، اعني من علم التحاليل الاجتماعية التي بدونها لا يمكن ان يصيب اي مؤرخ عالم في حقل « تاريخ الشعوب » . وهذا حقل يختلج في مقدماته ومقاييسه واساليبه عن حقل « تاريخ الاحداث والازمنة » وعن حقل « تاريخ الافكار والادب » وعن حقل « تاريخ الفن » الخ . . وكل هذه الحقول تقتضي اصولا ومبادئ خاصة بها علاوة على الاصول البدائية المفروضة في علم التاريخ الاجمالي . والمبدأ الذي يفرضه التحليل الاجتماعي على البحث في « تاريخ لبنان الشعب » هو ان الاكليروس المدعي عليه هنا ليس كالاكليروس المدعي عليه في تاريخ الشعوب الأوروبية من فرنسا

واسبانيا وغيرها . ذلك ان الاكليروس المارونسي، والامر ثابت اقله منذ اربعماية سنة ونيف ، كان متحدرا من الفلاحين ومن عامة الشعب ولم يكن من عائلات الاشراف والمشايخ والامراء الا في ما ندر .

وقبل الاربعماية سنة هذه الاخيرة، وحتى بداية العهد الماروني رجوعا تدل القرائن كلها ان الاكليروس المؤلف اجمالا من الرهبان والنسك ومن تربى على ايديهم كان ايضا من عامة الشعب ومن ازدروا بامجاد العالم ومفاخره .

اذن لا يصح اتهام هذا الاكليروس الا بما يتساوى مع متطلبات منشئهم الديمقراطي . فابن الفلاح ، مهما علا شأنه لا يمكنه الا ان يجاهد في سبيل الفلاحين ضد الاقطاعية والاستبداد خصوصا اذا كانت مبادئ الدين الذي يعتنقه تقضي بالحرية ضد الاستعباد وبالعدل ضد الاقطاعية وبمساواة الناس ضد امتيازات الاسياد .

وشهادات القناصل الاجانب والرحالة من ادوارس الى الكنت بنتي فوليو قنصل فرنسا ، قد سبق للسيد بولس نجيم ( = جوبلين ) ودرسها قبل غيره ممن ذكرهم الدكتور نقاش في مقاله ، ولكن الاول استنتج ، غير ما استنتجه سواه (٧) وكان الاجدر بالدكتور النقاش ان يقرأ هذه الشهادات بكاملها في اصلها وقرائنها دون العودة الى عادل اسماعيل ، ومع الانتباه الى كون قنصل فرنسا المذكور كان يؤرخ الاحداث مع تلويحها بمقاييس عقليته ، مما يوجب بالتالي انتزاع التلويح لتبقى امام الدارس والمستشهد موضوعية الاحداث فقط .

٨ - واخيرا اود ان اسال بالتحيط واكراما للحقيقة الموضوعية : هل المطالبة بسن قانون « من اين لك هذا ؟ » كانت على اثر انتهاء العهد الشمعوني بالذات ( حسب قول الدكتور النقاش ) وبدء العهد الشهابي ام انه كان سبق لبعضهم المطالبة بهذا القانون منذ اوامر عهد الشيخ بشاره الخوري وبدء ولاية كميل شمعون ؟

ولي ماء الثقة ان ارشيف جريدة النهار بامكانه الجواب بالتدقيق واعادة الحق الى نصابه والا فنحتكم الى محاضر مجلس النواب اللبناني اذا كانت محفوظة بعد وسهلة المثال .

وكذلك اسال : دولة المرزة فسي القرن السابع الم تكن « دولة لبنانية مستقلة » بمثل استقلال مثيلاتها من الدول العاصرة لها ؟ ام ان معنى الاستقلال ومعنى الدولة لا يمكن تصوره الا بالصيغة التي تبين لنا - عن خطأ او صواب لا فرق - من خلال الالوضاح الدولية في القرن العشرين ؟؟

- ١ - المجلد ٥٢ من مجموعة الباترولوجية اليونانية .
- ٢ - الرسالة رقم ٥٤ من المجلد المذكور في العامود ٦٣٨ - ٦٣٩ .
- ٣ - الرسالة رقم ٦٩ ، ثم عامود ٦٤٦ - ٦٤٧ .
- ٤ - الرسالة رقم ٥٥ ، ثم عامود ٦٣٩ - ٦٤٠ .
- ٥ - الرسالة رقم ١٢٣ ، ثم عامود ٦٧٦ - ٦٧٨ .
- ٦ - الرسالة رقم ٣٦ ، ثم عامود ٦٣٠ - .
- ٧ - بولس نجيم ( جوبلين ) قضية لبنان بالافرنسي طبعة ثانية جونية ١٩٦١ في الصفحات ٣٤٢ ، - ٣٤٨ ، - ٣٥١ - ٣٥٣ الخ .